الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

نموذج رقم "١٧"

السيد/ فضيلة الشيخ الدكتور/ وائل محمد رمضان أبو عسير الإمام بالمسجد الشريد "حبيب الكل" ١-

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته- وبعد:

فبناءً على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب: أطروحات وفتوحات (ج: ٢) تأليف فضيلة الشيخ الدكتور/ وائل محمد رمضان أبو عسير الإمام بالمسجد الشريد "حبيب الكل" ١-

نفيد بأنه ليس بالكتاب ما يمنع من نشره، وبأنه لا مانع من طبعه ونشره على نفقتكم الخاصة.

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم (٥) خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبع.

علمًا بأن هذه الموافقة مقصورة على الطبعة الأولى للكتاب التى أعطيت عنها، وأن هذه الموافقة يزول أثرها، ويتعين تجديدها على أى طبعة جديدة تطبع بخلاف الطبعة الأولى أو بمرور خمس سنوات من تاريخ تصريح تلك الطبعة أيهما أقرب، ومن ثم فإنه لا يجوز إرفاقها بأى طبعة أخرى، التزامًا بأحكام القانون التى يتعين الالتزام بها.

والله تبارك وتعالى من وراء القصد،،،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

تحريرًا فى: / / ١٤هـ
الموافـق: ٢٨/١٢/٢٠١٦م

مدير عام
الإدارة العامة للبحوث
والتأليف والترجمة

فضيلة الأستاذ الدكتور/ أمين عام المجمع

يعتمد
فضيلة الأستاذ الدكتور
رئيس المجمع

أُطروحات وفتوحات (ج: 2)

اسم الكتاب/ أُطروحات وفتوحات (ج2).

اسم المؤلف/ التعريف: وائل محمد رمضان أبو عجينة اليماني الحسني **(حبيب الكل)**.

عدد الصفحات/ **81** صفحة.

عدد النسخ/ **500** نسخة.

دار الطباعة/ دار الأمل للطباعة

رقم الإيداع/ **2016/27420**

الترقيم الدولي/ **978-977-90-4541-2**

تم بحمد الله

في الخامس والعشرين من صفر عام **1438** هجرياً.

الثلاثاء **25/ 11/ 2016** ميلادياً.

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

إهداء

إلى مولانا العارف بالله تعالى

محبوب الحضرة المحمدية

والمخصوص بالنيابة الروحية

حضرة الحِبّ المغمور بالحُبّ والنور

صاحب السر والسرور

القطب الجامع والنجم اللامع

العبد التقي النقي الخفي

فضيلة الشيخ: نجدي

حبيب الكل

(فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ

ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا

وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا)[1]

[1] سورة الكهف الآية 65.

المقدمة

بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مركز العلوم السماوية والأرضية، وعلى آله أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ عز وجل،وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ سيدنا مُحَمَّدٍﷺ،فهومدينة العلم والعرفان،ومن يده شرب السابقون ومنها يشرب اللاحقون،فهو أكرم الخلق يداً وأعظمهم فضلاً،وأحسنهم جوداً. وهذه عدة مواضيع تختلف في أهميتها بحسب مشرب كل قارئ، وذلك لأنها ما بين فلكي الشريعة والحقيقة تدور، وإن كانوا في الحقيقة دائرة واحدة،وقد وضعتها في أبسط ما يمكن عرضه، فالاختصار والإطالة كلاهما غير مفيد،والتوسط أمرٌ غاية في الصعوبة، وخصوصاً إذا كان الموضوع ذو أهمية وأبعاد يترتب عليها أحكام أو تعديل مفهوم اعتاده الناس وأصبح من المسلمات.ومواضيع الكتاب وإن كانت قليلة إلاَّ أني أرجو أن تكون فائدتها كبيرة، وأن ينفع الله بها كل من يقرأها دنيا وأُخرى.ومن وجد فيها ما ينفعه فليدعُ لي،وله بمثل ما دعى لي إن شاء الله، وأما من لم يجد فيها بغيته، فأسأل الله تعالى له أن يصل لمراده، وأن يعوضه خيراً وقتاً ومالاً وعلماً إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على سيدنا محمد،وعلى آله أجمعين،والحمد لله رب العالمين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾
ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

((موتة المؤمن، وموتتا الكافر))

للمؤمن موتة واحدة هي: موتة الجسد المادي، وللكافر موتتان هما: موتة الجسد المادي، وموتة النفخ في الصور(الصعق).

ورد في القرآن ما يؤكد وجود موتتين للكافر:قال الكافرون فى حياتهم الدنيا بلسان الإنكار:﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ﴾[2].

[2] سورة الدخان الآية 35.

وقالوا بعد موتهم ودخول النار بلسان الإقرار:﴿ قَالُوٓاْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾[3].

والحق أن الكافرين أقروا بالموت الذي يُعد الأمر الوحيد الذي لا يستطيع أن ينكره كافر أو ملحد أو عاقل، وإنما أنكروا البعث، ثم أقروا بموتتين وإحيائين بعد أن دخلوا النار، وذاقوا العذاب الأليم.

وقد فسر العلماء الإماتتين والإحيائين كالتالي:

الموتة الأولى:(بموتة العدم) أي:عالم الذر قبل خلق الأجساد.
والثانية:(بموتة الأجساد)أي: مغادرة النفس للجسد، والرحيل إلى البرزخ
والحياة الأولى:(بالحياة الدنيا) أي: الحياة التي ما بعد الولادة مباشرة.
والحياة الثانية:(بحياة البعث) أي: عندما يبعث الله الخلق في القيامة.

ونسبوا ذلك لابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما. ولا أعتقد أنهما رضي الله عنهما قالا هذا الكلام، لكونه غير دقيق، ومخالف للحقيقة التى أقرَّها الله في كتابه، وجاءت بها السنّة النبويّة.

وبيان عدم صحة ما ذهبوا إليه كالتالي:

أولاً:أنهم نسبوا الموتة الأولى للكافرين بمرحلة العدم(ما قبل الخلق).

وهذا لا يُسمى (إماتة) إنما قد يسمى مجازاً:(موتاً) قال تعالى:(هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا)[4].

---

[3] سورة غافر ألآية 11.
[4] سورة الإنسان الآية 1.

ثانياً: إن قولهم: الموتة الأولى هي(العدم) يلزمهم أن تكون الحياة الأولى هي عالم الذر (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ)[5]. وعلى هذا سيَصير لهم ثلاث موتات وثلاث إحياءات، وهذا مخالف للقرآن الكريم.

ثالثاً: إن وصفهم لحياة الكفار فى النار بالحياة الثانية غير صحيح قال تعالى عن وصف أهل النار:﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴾[6].

فحياة الكافرين معذبين في النار ليست بحياة ولا موت.

رابعاً: أنهم فاتهم الفرق بين:(الإماتة والموت)، فكل إماتة لابد وأن تسبقها حياة، بخلاف الموت، والكلام في الآية الكريمة عن (الإماتة والإحياء) وهذا غير متحقق في عالم الذر.

وذهب بعضهم أن المقصود الولادة، وهذا أيضاً لا يتوفر فيه شرط الإماتة قبل الإحياء، فليس من نفخ في جسده الروح كجنين سبق إماتته، فالإيجاد من الغيب لا يسمى إماتة.

إذاً فالصواب الذي يبدو من الآيات- والله أعلى وأعلم-:

أن **الموتة الأولى** (الإماتة) التي أقر بها الكافرون من بعد المعاينة هى(**موتة الجسد**)، والذى ينتقل الإنسان بموت جسده إلى القبر، ومن ثم يتم إحياء نفسه للسؤال في عالم البرزخ، فهذا عاينوه بأنفسهم.

---

[5] سورة الأعراف الآية 172.

[6] سورة طه الآية 74.

وأما **الموتة الثانية** (الإماتة) التى قصدوها فهى(**موتة النفخة الأولى في الصور**) الذى يُصعق فيها الكل إلا من شاء الله من المؤمنين وعباده الصالحين من الإنس والجن والملائكة،والتى تسبق البعث، وقد عاينوها أيضاً، قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ﴾[7].

وأما **النفخة الثانية**: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾[8].

فقد عاينوها، وهي (**الإحياءة الثانية للحشر**)، وتلقي المصير الأخير.

وعلى ضوء ما سبق:

فالموتتان هما:(**إماتة الجسد ، وإماتة الصعق عند النفخة الأولى**).

والحياتان هما:(**إحياءة القبر للسؤال، وإحياءة البعث عند النفخة الثانية**)، وهذا حال الكافرين والمشركين وأمثالهما.

أما المؤمن فليس له إلاّ موتة واحدة وهي:(إماتة الجسم).

وبذلك يتميز عن الكافر قال تعالى عن المؤمنين:﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴾[9]. أي: موتة الجسم المادي الدنيوي لكون المؤمنين ممن استثنى الله من الصعق والفزع، كما سبق بيانه.

---

[7] سورة الزمر الآية 68.
[8] سورة الزمر الآية 68.
[9] سورة الدخان الآية 56.

ولهذا قال الصديق عندما توفى النبي ﷺ:(بأبي أنت يا نبي الله **لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها**) [10].

وقال رسول الله ﷺ:(**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**) [11].

ولا تظن أن هذه الحياة وقفٌ على الأنبياء، وإنما ذكر الأنبياء لكونهم أعلى المؤمنين درجة، وإلا فقد قال تعالى:(وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ)[12].

وهذه أيضاً ليست وقفاً على الشهداء، وإنما ذكر الشهداء لكونهم أعلى المؤمنين درجة دون الأنبياء، وكذلك عامة المؤمنين، أحياء في قبورهم، ونحن مأمورون بزيارتهم والسلام عليهم لكونهم منعمين في قبورهم(برزخهم)، فالتنبيه على حياة الشهداء لا ينفي حياة غيرهم.

إذاً: فالمؤمن حي في برزخه يري مقعده من الجنة، مُستبشراً بفضل الله عليه.

وقد قال لي أحدهم:أليس قوله تعالى:(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[13].

يُشير إلى أن هناك إماتتين وإحيائين للمؤمنين والكافرين على السواء؟

فقلت له: إن فهمك للآية جانبه الصواب، فالخطاب موجه لمن كفر وليس لمن آمن، وهذا بين في قوله تعالى:(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ).

---

[10] صحيح البخاري.
[11] مسند أبي يعلى.
[12] سورة البقرة الآية 154.
[13] سورة البقرة الآية 28.

وإنما السؤال هنا لما وجه الله سؤاله الاستنكاري للكافرين حال حياتهم، وهم لم يعاينوا الموتة الأولى ولا الثانية بعد، مع علمه بإصرارهم على الكفر وإنكارهم لوجوده سبحانه؟!.

وبيان ذلك: أن السؤال هنا موجه لفئة آمنت، وذاقت حلاوة الإيمان، وعلمت أن الموت حق، والبعث حق، ثم كفروا.

فوصف كفرهم الأول (بالموت)، كما وصف الكفار في كتابه الكريم بقوله تعالى:(أموات غير أحياء)، كذلك وصف إحياءهم الأول بالإيمان.

ثم ذكرهم بالموت والبعث لعلهم يرجعون عن كفرهم مرة أُخرى.

وعلى هذا يتضح لنا أن كل من آمن بأركان الإيمان الستة، وعمل بأركان الإسلام الخمسة، لا يموت إلاّ موتة الجسد فى الدنيا، ثم يُحييه الله تعالى الحياة الأبدية، ابتدءاً من قبره (برزخه) وحتى بعثه، وانتهاءاً بدخوله الجنَّة. فموتته الجسدية هي الأولى والأخيرة .

أما الكافر والمشرك ومن على شاكلتهما، فيموتون موتتين ويعذبون فى الدنيا بالخزي، وفى القبر بالعرض، وفى الآخرة بالنار، ثم لا يموتون بعد ذلك ولا يحيون.

فكيف نسوى بين موتة المؤمن وموتتي الكافر، وبين حياة المؤمن بعد موته، والتي قبره فيها روضة من الجنة، وبين حال الكافر الذي قبره حفرة من حفر النار، إن هذا إجحاف لحق المؤمن، حيث يسوَّى بينه وبين الكافر ولو في الموت.

والشيء بالشيء يذكر:

لقد ارتبط السمع والبصر بالفؤاد، والذي يعني: القلب في الغالب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾[14]

فالسمع والبصر مرتبطان بالفؤاد ارتباطاً تلازمياً.

[14] سورة الإسراء الآية 36.

فمن فقد فؤاده فقدهما. ولهذا يُوصف الكافر فى القرآن بالأصم والأعمى. وعلى هذا فالكافرون يرتبط عدم إدراكهم بعد موتهم(**سمعاً وبصراً وشعوراً بغيرهم من الأحياء**)، لموت قلوبهم. بعكس المؤمنين الذين (**يسمعون ويبصرون ويدركون غيرهم من الأحياء**)، وذلك بالروح الممنوحة لفؤادهم بعد موتهم بسبب أعمالهم الصالحة ومحبتهم لربهم، ومحبة ربهم لهم، وعلى قدر الروح الممنوحة لهم وسعة قلوبهم يكون إدراكهم بعد الموت، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[15].

لا شك أن الآية تخبرنا أن من البشر من لهم (قلوب لا تعقل)، فهي محجوبة عن سماع الحق ورؤيته، وأكدت الآية عن ذلك الارتباط بين (السمع والبصر والقلب).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾[16]

مرة أخرى يؤكد القرآن على ارتباط (السمع والبصر بالقلب).

وهذا دليل علي أن الكفار محجوبو (القلب والسمع والبصر)، وإن كان هذا حالهم في الدنيا فأنّى لهم بعد الموت إدراك؟!.

عن النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال:(ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله،وإذا فسدت فسد الجسد كله،ألا وهي القلب)[17].

---

[15] سورة الحج الآية 46.

[16] سورة الأعراف الآية 179.

وهذا دليل على أن القلب هو:(مركز الإدراك)، وأن من فسد قلبه فسد سمعه وبصره تباعاً، فصار مثل البهائم، وفسدت دنياه وآخرته، ولا يُدْرِك في قبره (برزخه) سوى عذاب العرض. بخلاف قبر المؤمن، الذي قال عنه رسول الله ﷺ:(**ما من أحد مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا، فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**)[18].

إذاً: فالمؤمن بعد موته يشعر، ويدرك بنوع من الإدراك من جاء لزيارته، ويفرح به. ولذا فقد أمر النبي ﷺ بالسلام على موتى المسلمين، حيث جاء أنه ﷺ كان يُعلم أصحابه رضي الله عنهم إذا زاروا القبور أن يقولوا:(**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون**)[19].

ولا يُعقل أنه ﷺ كان يأمرنا بزيارة من لا يَعْقل، أو يسمع، أو يُدْرِكُ زائره.

****

(قبر المؤمن وقبر الكافر)

لا شك أن الذين لا يفرقون بين موتة الأنبياء والمؤمنين، وبين موتتي المشركين والكافرين. لا يفرقون أيضاً بين قبر المؤمن والكافر!. فهم يظنون أن المؤمنين في قبورهم(لا يسمعون ولا يدركون وجود زائريهم من عدمه)، وكأنهم يئسوا من أموات المسلمين(كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ)[20]، وهذا لغفلتهم عن الفارق الكبير بين موتى

---

[17] صحيح البخاري.
[18] تاريخ البغدادي.
[19] صحيح مسلم.
[20] سورة الممتحنة الآية 13.

المؤمنين، وأموات الكافرين. فصارت عندهم قبور الأولياء والصالحين، كقبور الكفار والمشركين!. وأنزلوا قول الله تعالى:﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾[21]. على الكل، مؤمنين وكافرين. وتناسوا أن الله قال بعدها: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾[22]. وتناسوا أن الله جعل حرمة المؤمنين موتى كحرمتهم أحياء: قال تعالى: (وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ)[23].

لقد بين لنا سبحانه أن النبيﷺ لا يستطيع أن يهدي العمى عن ضلالتهم، إن لم يقبلوا دعوته، وشبَّه العُمي من الكافرين بالأموات، ولن ينتفع الكافر بشفاعتهﷺ في الآخرة بسبب كفره الذي مات عليه.

ثم بين لنا مثلاً آخر في الآية التي تليها مباشرة، أن النبيﷺ يهدي من استمع إليه، وأنصت إلى دعوته وآمن بها، وعلمنا أن العلّة في استماعه حياً كان أو ميتاً إنما بسبب إيمانه بدعوته ﷺ وإسلامه لله تعالى، فتلك هي الميزة الفاصلة بين موتة المؤمن، وموتتي الكافر، والتي يترتب عليها حال كلٍّ منهما في قبره، من نعيم أو عذاب، ومن سمع وبصر وإدراك للمؤمن، ومن انعدام ذلك كله للكافر.

ولذا بيَّن لنا ﷺ هذا الفرق فيما ورد عنه في حديثه إلى قتلى المشركين بأن الله أسمعهم، وبين أنهم لا يستطيعون جواباً، **وما كانوا ليسمعوه لولا أن الله أسمعهم تبكيتاً لهم ومعجزةً لنبيهﷺ.**

---

[21] سورة النمل الآية 80.
[22] سورة النمل الآية 81.
[23] سورة البقرة الآية 154.

بعكس ما ورد في شأن موتى المسلمين، فقد حثنا النبي ﷺ أن نزورهم ونسلم عليهم كما مر بيانه، وكما أكده قوله تعالى في حق المؤمنين:﴿ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[24]

لذا فإن موتى المؤمنين في قبورهم(يسمعون ويبصرون ويدركون ويردون السلام على من سلم عليهم، ويعرفون من زارهم).

وكلما زادت رتبة المسلم الإيمانية واليقينية في الدنيا قولاً وعملاً، زاد إدراكه في برزخه، وانتفاعه بعمله وعمل غيره له دون أدنى شك.

قال تعالى في حق الكفرة :﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾[25]

فالأحياء هم أحياء الإيمان، ومن مات من المؤمنين.

أما الأموات فهم موتى الكفر، ومن مات من الكفار والمشركين، الذين لا يسمعون، ولا يبصرون، بعد موتهم ولا يشعرون سوى بالعذاب البرزخي، قال تعالى واصفاً حالهم: ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾[26].

اللهم إلاّ أن يُسمعهم الله كلام نبيّهﷺ تبكيتاً لهم، فقد ورد أن حضرة النبيﷺ اطلع على أهل القليب، فقال:(**وجدتم ما وعد ربكم حقا**)؟. فقيل له: تدعو أمواتا؟ فقال:(**ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون**)[27].

وفي رواية :(**إنهم الآن يسمعون ما أقول**).

---

[24] سورة النمل الآية 81.
[25] سورة فاطر الآية 22.
[26] سورة النحل الآية 21.
[27] صحيح البخاري.

فلفظ:((**الآن**)) يُفهم منه أن أموات المشركين لم يكونوا يسمعون أو يدركون قبل ذلك، ثم أسمعهم الله تبارك وتعالى.

لا شك أن السبب في عدم سماع أموات الكافرين هو إعراضهم عن السمع في الحياة الدنيا، فكان ذلك جزاءاً وفاقاً قال تعالى:(خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ)[28].

هذا بخلاف المؤمنين، فلا يحجبوا عن السمع والإدراك بعد موتهم قال تعالى :﴿ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[29].

ومن الجدير بالذكر أن ابن حبان حينما عنون لهذا الباب قال: (ذكر **إسماع الله** جل وعلا أهل القليب من بدر....).

وهذا لكون ابن حبان يعلم تمام العلم أن الكفار لا يسمعون إلاّ أن يُسمعهُم الله كلام نبيهﷺ، ولذا لم يعنون الباب بقوله:(سماع الكفار)، وهذه فطنة من ابن حبان ـ رحمه الله.

إذاً فمن ساوى بين موتة المؤمن وموتتي الكافر لم يفرق تباعاً بين قبر المؤمن وقبر الكافر، وفاته علم كبير أدخله في أمر خطير.

وليس هذا من عندي بل هو قول الصادق الأمين ﷺ:(**إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**)[30].

وعلى هذا يكون قبر الكافر (حفرة من حفر النار) لا يجوز زيارته، ولا الدعاء له أبداً.

---

[28] سورة البقرة الآية 7.
[29] سورة النمل الآية 81.
[30] سنن الترمذي.

قال تعالى:(وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ)[31] .

ويكون قبر المؤمن(**روضة من رياض الجنة**) يُندب زيارته، والدعاء له، والسلام عليه، والصلاة عليه، وغير ذلك لقوله تعالى: (وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [32] .

وهنا يبرز سؤالين من الأهمية بمكان:

هل يُعذب المؤمن في قبره ؟

وإذا عُذِّب هل يسمع ويدرك زائره أم لا ؟

والجواب: المؤمن لا يُعذَّب في قبره، لأن الإيمان درجة عالية تحمي صاحبها من العذاب، وإنما قد يُعذَّب بعض المسلمين بذنوب ولو بسيطة لم يستغفروا منها، ثم يُرفع عنهم العذاب ببركة دعاء ذويهم لهم أو بأعمال البرّ من الأحياء لهم. ولذا فالمؤمن(المسلم الطائع) مرحوم ومحفوظ من عذاب القبر خلاف (المسلم العاصي)، الذي لا يستغفر، ولا يتوب، ولا يندم،وكذا المسلم الغافل،والمهمل،الذي لا يعمل.

قال تعالى:(قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ)[33] .

---

[31] سورة التوبة الآية 84.
[32] سورة التوبة الآية 103.
[33] سورة الحجرات الآية 14.

وعَنْ ابن عبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرينِ فَقَالَ:(إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ)، فَأَخَذَ جَرِيدةً رِطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَينِ فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً. فَقَالُوا: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا يَا رَسُولَ الله؟. فَقَال:(لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا)[34].

إذاً: فقد يُعذَّب بعض عصاة المسلمين مدة في قبورهم، ثم يُرفع عنهم العذاب، ومن ثم يعود إليهم السمع والإدراك، بينما الكافر لا يُرفع عنه العذاب العرضي أبداً ، ولذا مُنع رسول الله ﷺ من زيارة قبور المشركين، ومن الصلاة عليهم، والدعاء لهم، فلا فائدة تعود عليهم من ذلك .

نسأل الله السلامة، ونعوذ به سبحانه من تسوية الكافرين بالمؤمنين (سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ).

وصلى الله على سيدنا محمد إمام المتقين، وعلى أهل بيته الطاهرين وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

****

((التوسل))

لا شك أن الفاعل فى الكون هو الله عز وجل، أولاً وأخيراً ظاهراً وباطناً، وقد أوجدنا الله في هذه الدنيا، وأمرنا أن نأخذ بالأسباب، ونتوكل عليه. وقد جعل سبحانه وتعالى للأسباب وسائل بها تعاون

[34] صحيح البخاري ومسلم.

الناس مع بعضهم البعض، وبها ينتفع الأدنى بالأعلى، وينتفع الأعلى بالأدنى. قال تعالى:(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ)[35].

والمسلم الكامل هو من يأخذ بالأسباب والوسائل، وعينه على المسبِّبِ سبحانه، فانتفاعه بشخص ما، وشكره على تلك المنفعة التي نالها منه، لا يجعله ينسى من أجراها على يديه، وهو الله تبارك وتعالى. وكذلك من قضى الله حاجته على يد إنسان، وجب عليه شكره، وإن كان القاضي لها على الحقيقة هو الله، هذا هو الدين الإسلامي الحنيف. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ)[36].

ولا شك أن كثيراً من الناس قد ينشغلون بالوسائل والأسباب، حتى يصير توكلهم واعتمادهم الكلي عليها وحدها، وهذا وان لم يقدح في كامل إيمانهم بربهم تبارك وتعالى، إلاّ أنه يقدح في توكلهم على الله، وهو لا شك من الإيمان، فهؤلاء ضعيفو الإيمان لا أكثر ولا أقل.

ولذا فالمتوسلون بالأنبياء والصالحين، يُعدون من ذوي الإيمان الكامل، بل وهم أهل علم بدين الله، ولهم من التوحيد والتوكل النصيب الأكبر، وهذا لكونهم يعتقدون أن الله على الحقيقة هو القاضي لحاجتهم، على يد من توسلوا به إليه، فجمعوا بين الأسباب والمسبب سبحانه، فتوسلهم بالصالحين هو من الأخذ بأسباب الرحمة، والإجابة المتعددة، والتي جعلها الله لهم، وأمرهم بها، قال تعالى:(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ)[37]. ومن تلك الوسائل المتعددة:(التوسل بالأعمال الصالحة، والصبر،

---

[35] سورة المائدة الآية 2.

[36] سنن الترمذي ومسند أحمد.

[37] سورة الإسراء الآية 57.

والصلاة....إلخ). وبما أنه يجوز بالتوسل والأخذ بالوسيلة، فالنبي ﷺ يُعد من أعظم وسائل الرحمة للعباد، والتوسل به إلى الله، من أسرع أسباب القبول، وكيف لا وقد قال تعالى عن نبيهﷺ:(وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ)[38].

أولاً : التوسل في القرآن الكريم:

قال تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا)[39].

وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ)[40]، وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)[41].

لقد أمرنا الله تعالى في الآيات السابقة، باتخاذ الوسيلة والاستعانة بالصبر والصلاة، وثلاثتهم غير الله دون شك، إلاّ أنها وسائل نتوسل بها إليه سبحانه، وينتفع العبد بتلك الوسائل فى قضاء حوائجه، ودیننا بالنقل لا بالعقل، فما ثبت نقلاً لا يمكن دفعه عقلاً، ولا يكون الدفاع عن التوحيد إلاّ بنص قاطع، فلا يجوز رمى المؤمنين بالشرك ومعهم الحجة من الكتاب والسنّة والأحاديث الشريفة.

ثانيا : التوسل في الأحاديث النبوية:

---

[38] سورة الأنبياء الآية 107.
[39] سورة الإسراء الآية 57.
[40] سورة المائدة الآية 35.
[41] سورة البقرة الآية 153.

(1) **توسل النبي ﷺ في دعائه بأسماء الله عز وجل:** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ:اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤُكَ، **أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ،** سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ:(أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ)[42].

(2) **سؤال النبي ﷺ المولي عز وجل بعباده الصالحين :** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ:ﷺ(مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي **أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا،** فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا وَلَا بَطَرًا وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، وَخَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيذَنِي مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ)[43].

(3) **النبي ﷺ يعلم أصحابه التوسل به ﷺ،** عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ:إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ: فَادْعُهْ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ:(**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ، مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِي، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ**)[44].

---

[42] صحيح ابن حبان .
[43] مسند أحمد وسنن ابن ماجه.
[44] سنن الترمذي وابن ماجه .

(5) توسل سيدنا آدم عليه السلام بحضرة النبي ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ، قَالَ: **يَا رَبِّ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي،** فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ،لأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ، رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لا إِلَهَ إلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إلا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لأَحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ادْعُنِي بِحَقِّهِ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ)[45].

(6) التوسل بالأعمال الصالحة :عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: **اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ،** فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الْآخَرُ: **اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ، عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ**

[45] المستدرك علي الصحيحين والمعجم الكبير للطبراني.

الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الثَّالِثُ: **اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ، وَالْبَقَرِ، وَالْغَنَمِ، وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ،** فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ)[46].

(7) **توسل سيدنا عمر رضي الله عنه بالنبي ﷺ وعم النبي ﷺ:** عن مالك الدار[47] قال: "أصاب الناس قحط في زمان عمر. فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقال: إيت عمر فأقرئه مني السلام، وأخبره أنهم يسقون، وقل له: عليك بالكَيْسِ الكَيْسِ، فأتى الرجل عمر فأخبر عمر فقال: " يا رب ما آلو إلا ما عجزت" اهـ.

((وهذا الرجل هو بلال بن الحارث المزني الصحابي، فهذا الصحابي قد قصد قبر الرسول للتبرك فلم ينكر عليه عمر ولا غيره))[48].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا قَحَطُوا خَرَجَ يَسْتَسْقِي بِالْعَبَّاسِ، فَيَقُولُ: " اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا قَحَطْنَا اسْتَسْقَيْنَا بِنَبِيِّكَ فَتَسْقِينَا، **وَإِنَّا نَسْتَسْقِيكَ الْيَوْمَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ**، أَوْ نَبِيِّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُسْقَوْنَ)[49].

وهذا صريح في التوسل بالنبي أولاً، ثم بالعباس ثانياً، فلا شيء في التوسل عند الصحابة.

---

[46] صحيح البخاري.
[47] خازن الفاروق رضي الله عنه
[48] سنن البيهقي والبداية والنهاية لابن كثير .
[49] ابن خزيمة وصحيح ابن حبان .

ولعل قائلاً يقول: لقد توسلوا بالعباس لكونه حياً؟.

فنقول له: القضية إثبات التوسل بالخلق إلى الخالق، أما كون المتوسل به حياً أو منتقلاً فهذا أمرٌ آخر.

ولكن للإفادة: **التوسل بالعباس، دون النبي ﷺ، أمرٌ لابد منه لوجوب وجود المتوسل به، إماماً ظاهراً للناس، في الاستسقاء، وهذه الدقيقة لم يفطن لها الكثيرون.**

وختاماً:

ذكر المرداوي الحنبلي في كتاب ((الإنصاف)): ومن الفوائد: **يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب، وقيل يستحب.**

****

((الاستغاثة))

وما قيل في التوسل، هو عين ما يقال فى الاستغاثة، إلاّ أن لكل لفظ منهما أدلته الخاصة به.

أولاً: الاستغاثة في القرآن الكريم:

قال تعالى: (وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ)[50].

[50] سورة القصص الآية 15 .

وقال تعالى:(وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ)[51].

ولا شك أن لفظ الاستغاثة في آية موسى جاء صريحاً لا يحتمل أي تأويل، فهو علي ظاهره يؤكد استغاثة مخلوق بمخلوق مثله، ولا يقول أحد إن ذلك كان في شرع من قبلنا، فجميع الأنبياء كانوا موحدين، وهم أبعد الناس من الشرك ومقدماته.[52]

وأما اللفظ في آية نبينا محمد فهو أعجب وأعجب، حيث جاء بلفظ الإجارة ولمشرك، فما بالنا إن استجار بالنبي مؤمن ألا يجيره؟!!.

ولعل قائلاً يقول هذا بين الأحياء؟

فأقول له: أولاً: المسألة ليست بين أحياء وأموات، بل هي تدور في فلك شرعية الإغاثة من مخلوق لمخلوق، وهي ثابتة ولا مانع يمنعها.

وثانياً: لقد ثبتت في الشرع حياة النبيﷺ بل وحياة جميع الأنبياء، كما ثبت قولهﷺ:(حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ، **وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ**، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ)[53].

ثانيا: الاستغاثة في الأحاديث النبوية:

---

[51] سورة التوبة الآية 6.

[52] ومن المعروف أن مسائل التوحيد لا تختلف في شريعة عن أخرى، بخلاف غيرها من التشريعات، كإباحة جمع أربع زوجات في الإسلام فقط وكان مباحاً بلا عدد في اليهودية.

[53] مسند البزار.

قَال رسول اللهﷺ:(إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْنًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ، **فَلْيَقُلْ: " يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي**، فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لا نَرَاهُمْ)[54].

ولا أظن أن هناك أصرح من ذلك الحديث لفظاً ومعنى وفعلاً.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا** نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[55].

وتنفيس الكرب هو: إغاثة المكروب دون شك. وهو من مخلوق لمخلوق، بل ويكافئ على إغاثته، ولا يُنكر ذلك بعد ثبوته، إلاّ من ليس له عقل، أو صاحب هوى.

ثالثاً : سئل شمس الدين الرملي عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد: ياشيخ فلان، يا رسول الله، ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين، فهل ذلك جائز أم لا؟ وهل للرسل والأنبياء والأولياء والصالحين والمشايخ إغاثة بعد موتهم؟ وماذا يرجح ذلك؟

فأجاب: **بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة ، وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم؛ لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار،وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم**، وأما الأولياء فهي كرامة لهم فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم"ا.هـ.

---

[54] معجم الطبراني.

[55] صحيح مسلم.

والخلاصة : أن الاستغاثة بالمخلوق مقيدة بأمرين:

الأول : اليقين بأن الفاعل القادر المغيث هو الله وحده.

والثاني: أن الاستغاثة بالمخلوق هي أخذٌ بالأسباب، كالاستغاثة بالمطافي والشرطة والطبيب وفرق الإنقاذ، فكل هذه استغاثات لا شيء فيها شرعاً، بل لو لم يستغثْ المسلم بما يغيثه أو يغيث غيره لكان آثماً فالمشكل: في اعتقاد المستغيث بتفرد المغيث من الخلق بالقدرة من دون الله، وهذا كفر وشرك ولا يقول به أحد.

وغاية الأمر أن الاستغاثة بالصالحين مفادها: أنهم عباد الله المكرمون، ودعاؤهم مستجاب، ولهم عند الله مكانة، يشفعهم الله في بعض أمور الخلق ويقضيها ببركة صلاحهم وتقواهم. ومن شبه فعل المسلمين بفعل الكفار(مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ)[56].

فهو جاهل بدينه، فالآية تتكلم عن عبادة الكفار للأصنام ليقربوهم إلى الله، وهم في ذلك كاذبون، وليس في المسلمين من يعبد الصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى، والأمّة محفوظة من عبادة غير الله عز وجل.

ومن كان معه دليل علي أن أحداً من المستغيثين بالأنبياء أو الصالحين من أمة رسول الله قد عبد أحداً غير الله علي مدي أربعة عشر قرناً فليبرزه ولن يفعل.

ولعل قائلاً يقول: لما نترك الاستغاثة بالله ونستغيث بالمخلوق؟

ونقول له أولاً: الاستغاثة بالمخلوق مشروعة، وكل ما ثبت شرعاً نعمل به، فالدين ليس بالعقل بل بالنقل، وقد ثبتت الاستغاثة بالمخلوق فلا مجال للعقل، انظر كيف تمسح أعلى الخف وليس أسفله.

[56] سورة الزمر الآية 3.

ثانياً: الاستغاثة بالمخلوق تكون فيما أقدرهم الله عليه وليس فيما يقدر عليه الحق وحده، فمثلاً لو صدمتك سيارة فسوف تستغيث بالإسعاف، فاستغاثتك بالإسعاف لا يقدح في عدم استغاثتك بالله قط.

****

((المدد))

المدد هو: طلب العون أو العطاء

قال تعالى: (كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) [57]

وقال تعالى: (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۝ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ)[58].

وقال تعالى:(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ)[59]

إذاً: فلفظ المدد لفظ قرآني ثابت وليس ببدعة، وقد رأينا كيف يغيث الله المؤمنين بالملائكة، ولعل قائلاً يقول المغيث هو الله والملائكة هي مادة الإغاثة، وهو محق، ولكن فلنتابع....

---

57 سورة الإسراء الآية 20.
58 سورة آل عمران الآية 125.
59 سورة الأنفال الآية 9.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ:" أَتَاهُ رِعْلٌ وَذَكْوَانُ وَعُصَيَّةُ وَبَنُو لَحْيَانَ، فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا،**وَاسْتَمَدُّوهُ عَلَى قَوْمِهِمْ، فَأَمَدَّهُمُ النَّبِيُّ** ﷺ بِسَبْعِينَ مِنْ الْأَنْصَارِ، قَالَ: أَنَسٌ كُنَّا نُسَمِّيهِمْ الْقُرَّاءَ يَحْطِبُونَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ فَانْطَلَقُوا بِهِمْ حَتَّى بَلَغُوا بِئْرَ مَعُونَةَ غَدَرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوهُمْ، فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِي لَحْيَانَ، قَالَ: قَتَادَةُ، وَحَدَّثَنَا أَنَسٌ أَنَّهُمْ قَرَأُوا بِهِمْ قُرْآنًا أَلَا بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا بِأَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ بَعْدُ)[60].

هذا هو لفظ (المدد) صريح وصحيح وثابت، كما ثبت في القرآن.

ممن طلبت رعل وذكوان ((المدد))؟

لقد طلبوه من النبي ﷺ، فهل أمدهم النبي ﷺ أم قال لهم إن طلب المدد لا يجوز إلاَّ من الله عز وجل؟

الحقيقة لقد أمدهم النبي ﷺ بما طلبوه، ولم يقل لهم إن طلب المدد منه بدعة أو شرك أو كفر.

والمدد: قد يكون من الله وحده، وقد يكون عن طريق عباد الله، وعلى هذا، فالمدد نوعان:

مدد مطلق: **وهذا بيد الله عز وجل وحده، ولا يطلب من سواه وهو: كل ما لا يقدر المخلوق عليه بحال من الأحوال.**

ومدد مقيد **وهو الذي أعطاه ربنا عز وجل لبعض خلقه يتصرفون فيه كيفما شاءوا، وأكثره في أمور الحياة الدنيا، مثل الذي أعطاه لسيدنا سليمان قال تعالى:(هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٍ)[61].**

أي: أن الله عز وجل قال لسليمان:(امنن) أي:(امدد/أعطي) من شئت مما أمددناك به، وامنع من شئت من المدد.

---

60 صحيح البخاري .
61 سورة ص الآية 39 .

ولو جعل الله المدد المقيد مثل المطلق موقوفاً عليه وحده سبحانه وانعدم المدد المقيد من العباد، لصار كل من يطلب من أحد معونة أو عطاء مشركاً بالله، حتى ولو كان طلب الإسعاف لمريض، أو الإطفاء للحريق، وهذا غير ما ورد بالكتاب والسنة، ولا يقول به عالم عاقل.

وعلى هذا فطلب المدد المقيد من الخلق لا شيء فيه، ما دام في مقدورهم، ولم يكن من المدد المطلق الموقوف على الحق وحده (كمغفرة الذنوب، وإدخال الجنة، والعتق من النار، والهداية، والعصمة).

وعلى هذا فعندما يستغفر النبيﷺ لأمته حينما تعرض على حضرته الأعمال، فإن هذا يعتبر مدداً أي: عوناً في مغفرة الذنوب كما ورد: قَالَ رسول الله ﷺ:(حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحدثُونَ وَيحَدثُ لَكُمْ، **وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ**)[62].

وقال تعالى: (وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا)[63].

قال ابن كثير:(ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله. سمعت الله يقول: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا.. الآية)، وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشد يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه *** فطاب من طيبهن القاع والأكم**

---

62 مسند البزار.
63 سورة النساء الآية 64.

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه *** فيه العفاف وفيه الجود والكرم**

أنت الرسول الذي ترجى شفاعته *** عند الصراط إذا ما زلت القدم**

لولاك ما خلقت شمس ولا قمر *** ولا نجوم ولا لوح ولا قلم**

صلى عليك إله الدهر أجمعه *** فأنت أكرم من دانت له الأمم**

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني، فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال:(يا عتبى الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له).[64]

وعلى هذا فرسول الله ﷺ يستغفر ويرد السلام على من سلم وغير ذلك، فلا مانع من طلب المدد والعون منه، فيما أقدره الله عليه، وليس من خصائص الحق المطلقة.

ونختم بهذا الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا** نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، **وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ** يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، **وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)[65].

والحديث صحيح وصريح في كونه ينسب أفعالاً مثل ((الستر، والتنفيس، والتيسير، والعون للعبد)).

---

64 البيهقي في كتاب شعب الإيمان، وابن النجار وابن كثير وغيرهما.

65 صحيح مسلم .

فهل طلب (العون) (المدد) من مخلوق مثلك مثله بغض النظر عن صلاحه من عدمه، جائز، بل ويكافأ عليه من الله عز وجل.

وطلب العون (المدد) من سيد الخلقﷺ، ومن عباد الله الصالحين، غير جائز وبدعة وشرك وكفر يُخرج من الملة ؟!.

****

((الاهتزاز في الذكر وجداً))

قال الرسول الأعظم ﷺ: **(اهتز العرش لموت سعد بن معاذ)** رضي الله عنه[66].

وقال ابن عمر رضي الله عنه: **(لقد اهتز العرش لحب لقاء الله سعداً)**[67].

وقال النبي ﷺ حينما اهتز جبل أحد: **(اثبت أحد فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد)** رضي الله عنه[68].

لقد اهتز العرش فرحاً بقدوم سيدنا سعد علي الله ﷻ.

---

[66] صحيح البخاري ومسلم.
[67] صحيح البخاري.
[68] صحيح البخاري.

واهتز جبل أحد فرحاً بوقوف سيدنا رسول الله ﷺ عليه.

فلم يلومون أصحاب المواجيد، والقلوب الرقيقة، على اهتزازهم وتمايلهم عند ذكر الله، فرحاً بمحبوبهم، وشوقاً إلى لقائه ﷻ، وضعفاً من قلوبهم، إذْ غلبتهم مشاعرهم تجاه حبيبهم وهو الله عز وجل؟!!.

اهتزاز الصحابة في الذكر؟

ورد عن الإمام علي رضي الله عنه أنه قال:(والله لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً بين أيديهم كأمثال ركب المعزي، قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله، يتراوحون بين جباههم وأقدامهم، **فإذا أصبحوا فذكروا الله مادو كما يميد الشجر في الريح)**[69].

هذا حال أصحاب النبي ﷺ عند ذكرهم ربهم، فهل كانوا مبتدعين أيضاً؟!!.

ونسألهم لماذا تهتز أجسام الأطفال عند قراءة القرآن الكريم؟! أم أنهم يتصنعون ذلك؟

قال تعالى: (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ)[70].

وكذلك تقشعر الجلود عند استماع القرآن الكريم، فهل كل هؤلاء يتصنعون ذلك؟!.

مع العلم :

أن الاهتزاز في أثناء الذكر الجماعي أو الفردي ليس بأصل فى الذكر، ولا واجب، ولا مندوب ، وإنما يحدث لهم ذلك من شدة الوجد لا غير .

---

[69] أبو نعيم في الحلية وابن كثير في تفسيره ج8 وكنز العمال للمتقي الهندي ونهج البلاغة.
[70] سورة الزمر الآية 23.

إذاً : فلا بدعة فى الأمر إنما الأمر كله أن من لم يذكر الله كثيراً ولم يبلغ حد الوجد به سبحانه، أنكر الاهتزاز اللإرادي.

ولو أن المنكر للاهتزاز وجداً، أكثر من ذكر الله عز وجل، لما أنكر ما أنكره، وما بدع من بدعه.

****

((المهدي والقحطاني))

المهدي هو: صاحب الخلافة الراشدة، لأنه الوحيد القادر بإذن الله على إقامة الخلافة على منهاج النبوة بعد الخلفاء الراشدين، وليس غيره ممن ادعوا الخلافة فأفسدوا في البلاد والعباد، ونفروا الناس من دين الله عز وجل، وهو الوحيد الذي سماه النبي ﷺ خليفة الله عز وجل.

وسيظهر في آخر الزمان(مهديان) في هذه الأمَّة لا مهدياً واحداً.

الأول: هو المهدي صاحب النسب الحسيني الذي هو من ولد الإمام علي والسيدة فاطمة رضي الله عنهما، وهو الذي يبايعه الصالحون عند الكعبة، والذي ينتظره الجميع بفارغ الصبر، فهو الذي سيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً، وأغلب الظن أن الله سيجعله ملكاً وحاكماً وعالماً وهادياً فتلك الصفات الأربع لم تتوفر لغيره مجتمعة .

والثاني: هو المهدي صاحب النسب الحسني (القحطانى)، وهو من ولد الإمام علي والسيدة فاطمة رضي الله عنهما، وهو الذي يمهد له المهدي سلطانه، ويستخلفه من بعده قبل موته، ويجاهد حتى يموت ولا يبق بعده مهديٌّ إلاّ عيسى عليه السلام، واليك حديثان عن المهدي الثاني الملقب بالقحطاني.

قال رسول الله ﷺ:**(لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان)** [71].

وقال ﷺ:(ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، **ثم يُؤمِّر القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما القحطاني دونه)** [72].

وعقيدتنا فى سيدنا المهدي عليه السلام أنه سيظهر فى آخر الزمان، وسيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً بعد ما ملأت ظلماً وجوراً ، وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم تلميحاً ، وفى سنة النبى الأمين ﷺ تصريحاً.

أولاً : المهدي في القرآن الكريم:

إن من يتأمل القرآن الكريم فيما يخص المهدي يجد أن الله ذكره تارة مرتبطاً بعلامات الساعة الكبرى، وتارة مرتبطاً بأحداث تسبقه أو تعاصره وهكذا، فالمهدي أولاً وأخيراً يُعد من الأمور الغيبية التي طلب من المؤمن أن يؤمن بوجودها وإن لم يرها ، وسنعرض بعض تلك الآيات التي قيل: إن المقصود بها هو المهدي خليفة آخر الزمان.

---

[71] - صحيح البخاري ومسلم.
[72] - معرفة الصحابة وتاريخ دمشق والفتن لابن حماد.

(الآية الأولى)

قوله تعالى:(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ)[73].

قيل إن هذه السورة نزلت في الإمام المهدي، والإمامة هنا هي: الخلافة والإمامة معاً، وأما الوراثة فهي للأرض أي:أن سلطانه سيكون مهيمناً على الأرض كلها قال تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ)[74].

فالوراثة هنا للأرض كلها وليس لجزء منها، وهذا لم يحدث لأحد في الأمة إلى الآن، ويؤكد ذلك قوله ﷺ في المهدي:(يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً) هكذا على الإطلاق أي: أنه يرث ((الدنيا كلها))

(الآية الثانية):

قال تعالى: (وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ)[75].

قالوا: إن هذه الآية نزلت في نزول عيسى آخر الزمان، ومن المعلوم جلياً أنه والمهدي سيتعاصران، ولكن بما أن المهدي سيظهر أولاً، فهي في حقه أولى دون شك.

---

[73] - سورة القصص الآية 4.
[74] - سورة الأنبياء الآية 104.
[75] - سورة الزخرف الآية61 .

قال الشبلنجي في (نور الأبصار):
قال مقاتل بن سليمان ومن تابعه من المفسرين في تفسير قوله تعالى:(وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) قال: هو المهدي يكون في آخر الزمان وبعد خروجه تكون أمارات الساعة وقيامها.

(الآية الثالثة):

قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا) [76].

لقد أرسل الله رسوله ﷺ بالإسلام لكي يكون هو الدين العالمي للناس كلهم، فزرع الحبيب ﷺ تلك الشجرة المباركة، وأنتشر الإسلام شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً إلا أنه ما زال يحتل المركز الثاني على مستوي العالم من حيث تعداد المنتسبين إليه لا من حيث الديانة فلا دين إلاّ الإسلام. فقد بلغ عدد المسلمين حوالي المليار ونصف، وطبقاً لمدلولات انتشاره في هذا القرن يتوقع الخبراء أنه خلال خمسة عشر عاماً سيكون الإسلام هو الدين الأول على مستوى العالم بعد أن يرتفع المنتسبون إليه إلى ملياري مسلم، وعلى هذا فالآية نزلت في المهدي الذي سيعم في عصره الإسلام الدنيا كلها بإذن الله تعالى، وهذا كما قلنا لم يتحقق إلى الآن منذ نزلت هذه الآية، فالنبي ﷺ زرع الشجرة والمهدي يحصد ثمرتها إن شاء الله.

(الآية الرابعة)

---

[76] - سورة الفتح الآية 28.

قوله تعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ) [77]

إن وعد الله كان مفعولاً، فإذا وعد لا يخلف الميعاد سبحانه وتعالي لا إله إلا هو، لقد تحقق وعد الله في هذه الآية حيث آمن الصحابة وعملوا صالحاً، فأستخلفهم الله في الأرض ومكن لهم دينهم حتي انقطع عقد الخلافة الراشدة بعد ثلاثين عاماً، وصار الملك هو المسيطر وله الكلمة ووعد الله لهذه الأمة باقٍ، وسوف يتحقق في آخر الزمان الذي أشرف على الانتهاء، وذلك بخروج ذلك الخليفة الراشد المهدي الذي يسير على منهاج النبوة، ويستخلفه الله في الأرض كما وعد بل ويمكن له ما لم يمكن لأحد من قبل، وكأنه ذو القرنين في هذا العصر، والعجيب أن يأجوج ومأجوج يظهرون في زمانه كما ظهروا في زمان ذي القرنين.

ثانيا: المهدي في الأحاديث الشريفة:

[77] - سورة النور الآية 55 .

(1) قال رسول الله ﷺ :(**المهدي منّا أهل البيت يُصلحه الله في ليلة**) [78].

(2) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**يخرج في آخر أُمتي المهدي** يسقيه الله الغيث وتُخرج الأرض نباتها، ويُعطي المال صحاحاً) [79].

(3) وعن أُم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**) [80].

(4) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:(**يكون في أُمتي المهدي** إن قصّر فسبع، وإلا فثمان، وإلا فتسع، تنعم أُمتي فيها نعمة لم ينعموا مثلها يُرسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدّخر الأرض شيئاً من النبات، والمال كدوس يقوم الرجل يقول: **يا مهدي أعطني**. فيقول: خذ)[81].

(5) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم **حتى يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي** يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجورا) [82].

---

[78] - أحمد في مسنده وابن ماجه وابن أبي شيبة وأبو يعلى وحسنه السيوطي في الجامع الصغير.

[79] - الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

[80] - أبو داوود وابن ماجه والحاكم والطبراني في المعجم، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة .

[81] - قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

[82] - سنن أبى داوود في سننه وابن حبان في صحيحه والحاكم وغيرهم.

(6) عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(يقتتل عند كنـزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة لا يصير إلى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقاتلونكم قتالا لم يقاتله قوم، ثم ذكر شيئاً فقال: إذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدي)[83].

(7) قال ﷺ (ثم تجيء الرايات السود فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم ثم يجيء خليفة الله المهدي)[84].

(8) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:(تُملأُ الأرض جوراً وظلماً فيخرج رجل من عترتي يملك سبعاً أو تسعاً فيملأُ الأرض قسطاً وعدلاً)[85].

(9) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أُبشّركم بالمهدي يبعث على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض)[86].

(10)عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة، فيبلغ السفياني، فيبعث إليه

---

[83] - الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات.
[84] - البيهقي في دلائل النبوة.
[85] - مسند أحمد في المسند والحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجه.
[86] - قال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى ورجالهما ثقات، وقال السيوطي في الحاوي: أخرجه أحمد وأبو يعلى بسند جيد.

جُنداً من جنده فيهزمهم، فيسير السفياني بمن معه حتى إذا صاروا ببيداء من الأرض خُسف بهم فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم) [87].

لقد بلغت أحاديث المهدي حد التواتر فلا مجال للتكذيب بها، بل ولا حتى التهاون بها، وكل جيل من المسلمين ليس مطالب بانتظار خروجه دون عمل ، بل الكل مُطالب بالاستعداد لظهور ذلك الرجل، ومجيء تلك الأيام بالعمل الصالح والتقوى. حتى إذا ظهر يجد من يعينه على ما كلفه الله به.

****

((أمرت أن أقاتل الناس))

قال رسول الله ﷺ:(**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله،وأن محمدا رسول الله**،ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم،إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله) [88].

---

[87] الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
[88] صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود ومسند أحمد وصحيح ابن حبان وغيرهم.

وفي رواية بلفظ: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا.....**) [89].

وكلاهما أي: النطق بشهادة أن لا إله إلا الله أو القول بها، أمرٌ واحدٌ.

أي: أن الرسول مطالب بقتال من يقاتله إلى أن يشهدوا أن لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، عندها يتوقف عن قتالهم، حيث صاروا بها مسلمين،لا يجوز قتالهم، وقيد عصمتهم بعد الشهادة بأركان الإسلام.

أقول- وبالله التوفيق-:

إذا أردنا الفهم الصحيح لهذا الحديث النبوي الشريف، فلابد وأن نجيب أولاً على ثلاثة أسئلة مهمة جداً، وهي:

السؤال الأول: أين جاء في القرآن الأمر لرسولهﷺ بقتال هؤلاء الناس؟

السؤال الثاني: من هم الناس الذين أمر الله رسولهﷺ بقتالهم في الحديث؟

السؤال الثالث: لما أمر الله رسولهﷺ بقتالهم إلاَّ من تابوا وأسلموا؟

إجابة السؤال الأول: جاء الأمر لرسوله ﷺ بقتال هؤلاء الناس وذلك في قوله تعالى:(فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[90].

إجابة السؤال الثاني: الناس الذين أمر الله نبيه ﷺ بقتالهم في هذا الحديث هم: مشركو مكة:(فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ).

---

[89] صحيح البخاري ومسلم.

[90] سورة التوبة الآية 5.

إجابة السؤال الثالث: أمر الله النبيﷺ بقتال مشركي مكة إلاَّ من تاب منهم واعتنق الإسلام. وتفصيل الإجابة كالتالى:
بدأ الأمر عام -ستة- من الهجرة حينما اعتزم النبيﷺ وأصحابه على أداء العمرة، وكان بينهم وبين مشركي مكة أكثر من ثلاثة حروب، هذا غير المناوشات من وقت لآخر، فلما وصل النبي وأصحابه إلى حدود مكة أرسل سيدنا عثمان بن عفان، كي يخبر قريش بأن النبي وأصحابه جاءوا معتمرين غير محاربين، وانتهى الأمر بأن أرسلت قريش من يساوم النبي على شروط وضعوها، وأهمها عودة النبي دون أن يعتمر هذا العام، على أن يعود العام المقبل للعمرة، وكذلك أبرموا عهداً بتوقف القتال بينهما لمدة عشر سنوات، وأن من يدخل في حلف قريش أو حلف النبي يصير داخلاً في ذلك العهد والهدنة، ودخلت بنو بكر في حلف مع قريش، ودخلت خزاعة في حلف مع النبي، وفي العام الثامن خانت بنو بكر العهد واعتدت على خزاعة في الحرم، وعلم النبي بنقض قريش لعهده وهدنته، وكان من أثر ذلك فتح مكة بعشرة آلاف مسلم، وقد عرض النبي عليهم الإسلام والأمان، فمنهم من دخل في الإسلام ومنهم من ظل على كفره يضمر للمسلمين الشر، ويتحين اللحظة للانقضاض عليهم، هذا غير استمرارهم في شعائرهم الشركية حول البيت وفي حرمه، وفي العام التاسع الهجري نزلت سورة براءة، والتي جاءت الثلاثون آية الأولى منها، تُنهى عهود المشركين المستمرين في شركهم وفي الإضرار بالمسلمين، وتعطيهم مُهلة للرحيل عن مكة إذا استمروا على شركهم، أو يدخلوا في الإسلام، لأن مكة ستعود لدين التوحيد كما كانت من قبل، فمن شاء أسلم ومن شاء رحل عنها، فلما نزلت براءة أرسل رسول الله أبا بكر ليبلغها للناس في الحج، ثم أرسل عليَّاً كرم الله وجهه ليبلغها بالنيابة عن النبي ﷺ، وبنزول براءة قام رسول الله بين أصحابه قائلاً:(أُمرت أن أُقاتل الناس[91] حتى يشهدوا أن

[91] يلاحظ هنا أن النبي استعمل (الناس) التى هي لفظ من ألفاظ العموم في أحد أفراد هذا العموم، وهو (المشركون)، فالألف واللام في(الناس) هنا هي (أل) العهد وليس الجنس، وقد ورد ذلك في

لا إله إلاّ الله..)، وإنما قال ذلك لأنه لم يقاتل من قبل في بيت الله الحرام، حتى في فتح مكة، قالﷺ:(إن هذا البلد حرمَّهُ الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحُرمة الله إلى يوم القيامة، **وإنه لم يحلَّ القتال فيه لأحد قبلي ولم يحلَّ لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحُرمة الله إلى يوم القيامة**)[92]. فلم يدخلها النبيﷺ مقاتلاً. هذا هو سبب الحديث، وبذلك يتبين وهم من ظن أن القتال هنا للناس جميعاً، بل كما مَرَّ هو في مشركي مكة، ولم يتكرر الأمر بعدها. وهذه هي الآيات التي نزلت في مشركي مكة، فمن قرأها علم ما أقول وتبين له الحق من الباطل دون شك. قال تعالى:(بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ

القرآن كثيراً، ومنه قوله تعالى:(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ).. الآية، فـ (الناس) الأولى المراد بها نعيم بن مسعودٍ الأشجعي،و(الناس)الثانية المقصود بها المشركون.

[92] صحيح البخاري.

وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ۝ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ۝ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ۝ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ

فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۞ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ۞ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۞ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ۞ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ۞ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۞ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ

عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ
أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ
وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ
أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ
يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ
ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ
عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم
مُّدۡبِرِينَ ۝ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ
جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ
يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ
بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن
شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا

بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ)[93].

وقد كانت المدة المحددة لمشركى مكة أربعة أشهر، تنتهى في العاشر من شهر ربيع الآخر العام العاشر، وبعدها يصير بقاؤهم تحدياً ومحاربةً لله ورسوله. وقد أُعلنوا بالأمر حتى يستعدوا للرحيل، وأوضح لهم أن من وجد منهم بعد ذلك ولم يكن أسلم راغباً في الإسلام، فهو محارب، وسوف يُقاتل ويُقْتل. **وبهذا يتبين الخلل في فهم الحديث الذي اتخذوه حُجّة في قتل العالم، وقد تبين بطلانه ، فالحديث جاء فى :أُناس مخصوصين، فى حالة خاصة، وفي بقعة من الأرض معلومة، وفى مدة زمنية محددة. وحمل الحديث على الناس عموماً، من الجهل بالدين، واللغة، والتاريخ.** ومما يؤكد أن الحديث خاص بهذه الفئة من الناس(مشركى مكة) وليس غيرهم: قوله تعالى:(لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ . إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) [94].

---

[93] سورة التوبة الآيات من 1: 29.
[94] سورة الممتحنة الآيتان 9و10.

فهذا بيِّن فى أن الله تبارك وتعالى لم ينهَنَا عن التعايش مع الناس بكافة معتقداتهم، وإنما نهانا عمن قاتلونا وأخرجونا من ديارنا، والآية غير منسوخة. [95]

ومما يؤكد أن الحديث خاص بهذه الفئة من الناس وليس غيرهم، قوله تعالى: (ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)[96].

فكيف نقاتلهم، ونحن نعيش معهم ويعيشون معنا، ونأكل طعامهم ويأكلون طعامنا ،ونتزوج منهم بل وأمرنا الإسلام ببرهم والإحسان إليهم؟!.

وقد بوب الإمام البخاري لحديث:(أمرت أن أقاتل الناس) بهذه الآية فقال: باب(فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[97]. **وهذا لعلم الإمام البخاري بأن هذا الحديث قيل في مشركى مكة خاصة، فهو حديث خاص، وليس عامّاً.**

****

[95] راجع كتاب (داعش خوارج على نهج التتار وسنة العجم) للمؤلف.
[96] سورة المائدة الآية 5
[97] سورة التوبة الآية 5.

((الجهاد الأكبر {تزكية النفس}))

قال رسول الله ﷺ:(رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)[98].

الجهاد لغة هو : المشقة يقال: جهدت جهودا أي: بالغت المشقة.

والجهاد في الإسلام نوعان:(جهاد أكبر وأصغر، أو عام وخاص).

أما الجهاد الأكبر موضوع تلك الرسالة يبلغ أكثر من:(سبعين نوعاً).

منها: ما هو عام لطائفة من المسلمين وهو القتال بالسلاح، وما هو خاص بالنفس وهو القتال بالتزكية، والمقصود هنا هو ما يخص النفس والتزكية أو ما يُسمى بالسلوك إلى الله، أو الوصول إلى رضا الله ومحبته تبارك وتعالى.

وقد ورد الجهاد الأكبر (العام) في آيات وأحاديث نبوية كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[99].

---

[98] أورده النسائي في الكنى مرفوعاً(كما في تخريج الكشاف 396/2 وغيره) ورواه من طريقه ابن عساكر بسند حسن (موقوف) أخبرني صفوان بن عمرو، نا محمد بن زياد أبو مسعود - من أهل بيت المقدس، قال: سمعت إبراهيم بن أبي عبلة وهو يقول لمن جاء من الغزو:(قد جئتم من الجهاد الأصغر، فما فعلتم في الجهاد الأكبر؟ قالوا: يا أبا إسماعيل ! وما الجهاد الأكبر؟ قال : جهاد القلب).

[99] سورة النازعات الآية 40

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[100].

وقوله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ [101].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [102].

وأما في الأحاديث النبوية فقد ورد العديد من الأحاديث التي تحث على جهاد النفس وتزكيتها منها:

قول رسول الله ﷺ:(**المجاهد من جاهد نفسه لله**) [103].

وقول رسول الله ﷺ:(**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**)[104].

وقول رسول الله ﷺ:(**قدمتم خير مقدم،وقد قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قالوا وما الجهاد الأكبر يارسول الله؟ قال: مجاهدة العبد هواه**)[105].

---

[100] سورة العنكبوت الآية 6.
[101] سورة الحج الآية 78.
[102] سورة العنكبوت جزء من الآية 69.
[103] الترمذي في سننه وأحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والنسائي في سننه (بسند حسن)
[104] مسند أحمد والبخاري في الأدب المفرد.
[105] ابن النجار والديلمي والبيهقي في الزهد وأبو بكر الشافعي في الفوائد والمتقي الهندي في الكنز والخطيب في تاريخه.

وهذا النوع من الجهاد الأكبر يبلغ أكثر من سبعين نوعاً، منه العام كما قلنا والذي أعلاه:(الدعوة)، وهو نشر دعوة لا إله إلا الله.

ومنه الخاص(جهاد النفس {تزكيتها})، ويبدأ هذا الجهاد بالتخلي عن الصفات والأخلاق المذمومة، ومن ثم التحلي بالأخلاق المحمودة.

وإليك أنواعه حتى تكون أيها السالك على بيّنَة من نفسك وأمراضها، فأنزل نفسك عليها وتتبعها واحدة تلو الأُخرى، وكل ما وجدته فيك من أمراض فالزم نفسك التطهر منه وجاهده جهاداً كبيراً:

(1) جهاد الغرور (2) جهاد الغفلة (3) جهاد الفظاظة (4) جهاد الغلظة (5) جهاد القسوة (6) جهاد البخل (7) جهاد الجهل (8) جهاد الغضب (9) جهاد السخرية (10) جهاد الكسل (11) جهاد الرياء (12) جهاد النفاق (13) جهاد الظلم (14) جهاد التسويف (15) جهاد الإعراض عن ذكر الله (16) جهاد الكذب (17) جهاد الجبن (18) جهاد الشك (19) جهاد اليأس (20) جهاد المعاصي (21) جهاد الشح (22) جهاد التواكل (23) جهاد الخيانة وعدم الوفاء (24) جهاد العجب (25) جهاد الغدر (26) جهاد التعجل (27) جهاد الغش (28) جهاد حب الدنيا(29) جهاد الانشغال بالباطل (30) جهاد الفضول (31) جهاد الإهمال (32) جهاد الغلو (33) جهاد الثرثرة (34) جهاد البغض (35) جهاد المكر واللؤم (36) جهاد الاحتكار (37) جهاد الاحتقار (38) جهاد الهوى (39) جهاد الفخر (40) جهاد التعلل (41) جهاد الحقد (42) جهاد رؤية الأعمال (43) جهاد الطمع (44) جهاد الشيطان (45) جهاد أكل الحقوق (46) جهاد التأفف والنهر (47) جهاد الحسد (48) جهاد طول الأمل (49) جهاد قلة الندم (50) جهاد كثرة النوم (51) جهاد

كثرة الأكل والشرب (52) جهاد الكبر والتعالي (53) جهاد الغيبة والنميمة (54) جهاد الحرص (55) جهاد إحداث الفتن (56) جهاد إفشاء السر (57) جهاد الذم (58) جهاد سوء الظن (59) جهاد التجسس (60) جهاد الإفك (61) جهاد إدامة مجالسة الجاهلين (62) جهاد التكلم بغير علم (63) جهاد حب الرياسة (64) جهاد الخواطر(65) جهاد إعلاء الصوت (66) جهاد حب الظهور (67) جهاد الوساوس (68) جهاد السخط (69) جهاد التبذير (70) جهاد الابتداع (71) جهاد الإعراض عن الله (72) جهاد الأذى .

فإذا أقدم السالك على التخلي من الصفات المذمومة والتحلي بالصفات والأخلاق الحميدة أعانه الله على نفسه، وتقبل منه جهاده في سبيله. وهي المشار إليها في قول النبي ﷺ:**(الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلاّ الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)** [106].

وهذه الأخلاق والأوصاف الحميدة ما هي إلاّ تفعيلٌ لقوله تبارك وتعالى :

(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [107]

وهي المسماة عند السالكين باسم التحلي وهذه هي :

(1) التحلي بكثرة ذكر الله (2) التحلي باليقظة (3) التحلي باللطافة(4) التحلي بالرفق (5) التحلي بالرحمة(6) التحلي بالكرم(7) التحلي بالعلم (8) التحلي بالحلم(9) التحلي بالاحترام(10) التحلي بالهمّة(11) التحلي بالإخلاص (12) التحلي بإنكار الذات (13) التحلي بالعدل(14)

---

[106] صحيح مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم.
[107] سورة الأنعام الآية 162 .

التحلي بالنشاط (15) التحلي بالتواضع (16) التحلي بالصدق(17) التحلي بالشجاعة (18) التحلي باليقين (19) التحلي بالتفاؤل (20) التحلي بالتوبة والصلاح(21) التحلي بالسخاء (22) التحلي بالتوكل(23) التحلي بالوفاء (24) التحلي بالذل (25) التحلي بالأمان (26) التحلي بالتاني(27) التحلي بالأمانة (28) التحلي بحب الله (29) التحلي بالحق(30) التحلي بالاتباع (31) التحلي بالالتزام (32) التحلي بالاعتدال(33) التحلي بالصمت (34) التحلي بالمحبة(35) التحلي بسلامة القلب (36) التحلي بالمودة وحب الغير(37) التحلي بالانكسار (38) التحلي بمخالفة الهوى(39) التحلي بحب القرآن (40) التحلي بالعمل (41) التحلي بالخدمة (42) التحلي بدوام الطاعة(43) التحلي بالقناعة(44) التحلي بالثقة فيما عند الله (45) التحلي بإعطاء الحقوق(46) التحلي بالإحسان (47) التحلي بالغبطة(48) التحلي بقصر الأمل(49) التحلي بكثرة التوبة والاستغفار (50) التحلي بالسهر وقيام الليل(51) التحلي بالصوم(52) التحلي بالخشوع والبكاء(53) التحلي بقول الحسنى(54) التحلي بالإنفاق في سبيل الله(55) التحلي بالإصلاح بين الناس(56) التحلي بكتمان السر(57) التحلي بالثناء خيرا (58) التحلي بحسن الظن (59) التحلي بالعزلة والخلوات وكثرة الاعتكاف (60) التحلي بالتماس الأعذار (61) التحلي بإدامة مجالسة الصالحين (62) التحلي بالسكوت (63) التحلي بترك الرياسة (64) التحلي بتذليل العوائق (65) التحلي

بالاعتصام (66) التحلي بحب الستر (67) التحلي بالتفكر في الآء الله(68) التحلي بأكل الحلال (69) التحلي بالوسطية والقوامة في الإنفاق (70) التحلي بحب رسول الله(71) التحلي بالإقبال على الله والفرار إليه(72) التحلي بإماطة الأذى.

ومن ثم تتزكى نفسه وتتطهر من كل ما يحجبها عن مولاها وحبيبها وعندها يصطفيها الله ويناديها: (يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى)[108].

فإذا تم التحلي يبدأ في رحلة الجهاد العام المشار إليه سابقاً، والتي هي أعلى مراتب جهاد النفس، فتبدأ بالدعوة إلى الله حيث صار صاحب هذه النفس، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر داعياً إلى الله عز وجل على بصيرة، ومن ثم يستكمل مراتب الكمال التي لا منتهى لها، حتى يدركه الموت، فيعيش سعيداً، ويموت سعيداً، ويبعث مع السعداء.

وهي رحلة ليست بالهينة ولا السهلة بل جهاد وجهد وموت وحياة، والله الغاية

****

((رحلة النفوس إلى الملك القدوس))

(لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ)[109]

---

[108] سورة الفجر الآيات 27و28و29و30.
[109] سورة الأحزاب جزء من الآية 21.

(مراتب الحب ومنازل القرب)

(التخلي والتحلي والتجلي)

الحق أنه لا بداية لسالك إلى الله تبارك وتعالى إلاّ بعد أن ينتبه قلبه من غفلته، وتستيقظ نفسه الأمارة بالسوء من نومها وسباتها، بالتوبة النصوح، فالناس كما قال الإمام علي رضي الله عنه:(نيام إذا ماتوا انتبهوا)[110]، والنوم أخو الموت، فالناس أموات إلا من أحياه الله بالتوبة، ومن ثم بالإيمان، والعمل، وسقاه من عين الحياة:(المحبة الإلهية)، أولئك هم الأحياء، وإن ماتوا جسداً، قال تعالى: (وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ)[111].

وقال تعالى:(أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَاۚ)[112].

فلا سلوك، إلاّ لعبد استيقظ، قبل الممات، وانتبه قبل الفوات، واليقظة هي مفتاح الفهم عن الله عز وجل، ومن بركاتها أنه يرى حقيقة نفسه الأمارة بالسوء، والتي هي أسوأ النفوس البشرية، والتي لا ترى منكراً من المعاصي إلا ارتكبته، ولا معروفاً من البرّ إلاّ هجرته، رداؤها الكبر والغدر، وإزارها العظمة والتعالي، تلبست ثوب الزور والظلم والهوى، شرابها الشح والبخل، وطعامها الحرص والغل، وجاهها حب الرياسة، ومذهبها الجهل والغلو، وتاجها الرياء وقلة الوفاء، لا تمضي إلا لشر، ولا تسعى لخير، سمعها النميمة، وكلامها الغيبة، عامرة بالحقد وسوء الظن، مملوءة بالحسد والفتن، معشوقها الكذب، قليلة الأدب، نزعت

---

[110] أخرجه ابن عساكر عن الإمام علي موقوفاً.

[111] ـ سورة البقرة الآية 154.

[112] ـ سورة الأنعام الآية 122.

منهـا الرحمـة وخـلا الرفـق منهـا، لا تعـرف إلاّ الفظاظـة والغلظـة، لا تصـاحب إلاّ الجهلـة، متعاليـة متكبـرة تهـوى الأذى والطمـع والفضـول، ثرثارة مكارة، معرضة عن الذكر والذاكرين، تحب الدنيا وتكره الآخرة، طبعها التـأفف والتـأنف، إن صنعت خيراً نسبته لنفسها دون ربها، إن سكتت فساخرة، وإن تكلمت فكاذبة، لا تنطق عن علم ولا هدىً، وكأنها شيطان في مظهر إنسان، نسيت ربها فنسيها، وهجرته فهجرها، رغم أنها آمنت بوجوده وصدقت موعوده، ولكنها لم تعمل ولم تجتهد، ولم ترغب في لقاء مولاها، فلم يرغب مولاها في لقائها.

هذه هي أوصاف النفس الأمارة بالسوء، والتي لابد لكل إنسان لم يتزكى من بعض أوصافها، إلاّ من رحمه الله فهداه، وأيقظه من وحلها ورجسها، وأحياه بتزكيتها، وأعانه على قتلها بالتبرؤ من قوتها وحولها

ومن هنا يبدأ العبد رحلة التخلية عن كل خلق وفعل وقول مذموم.

فإذا انتبه العبد بفضل مولاه، ورأى ما هو عليه من الفساد المبين، والخلق المشين، حاله كأحوال الشياطين، في زى المؤمنين، صرخ صرخة الأوبة، وندم والندم توبة، وأقبل علي الله هاجراً إعراضه وأمراضه، ملزماً نفسه قول: (**لا إله إلاّ الله**)، على كل حال فذاك دواؤها وترياقها، فقد بشر الحبيب ﷺ أن:(**لا إله إلا الله لا تترك ذنباً، ولا يسبقها عمل**)، ويظل على ذلك ليله ونهاره، سره وجهره، حتى تتشبع نفسه بها وتنصبغ بلونها، وتطهر بأنوارها، فتخرج صفراء فاقع لونها تسر الناظرين، وهو لون التائبين النادمين الخائفين، حتى يكتوي بكثرة الذكر لسانه، ويظن الناس فقده لبنانه، لقوله ﷺ:(**اذكروا الله حتى يقولوا مجنون**)[113]، فإذا دام له ذلك، نخست نفسه، وتأجج قلبه وحسه، عندها يتلاشى تواكله ويتبدد تعجله، ويتبدل بغضه بمحبته، وإهماله بإقباله،

[113] مسند أحمد ومسند أبي يعلي وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم.

وكسله بهمته، وتسويفه بنشاطه، وقتها يأتيه رسول ربّه، ليهب لقلبه المَرْيَميّ روحاً زكياً، وكان أمراً مقضياً، وعندها يشعر وكأن في قلبه جنيناً يركض، وبالذكر ينبض، ومن ثم يولد له توأم الذل والطاعة لله،

وإذا كان الانتباه من هذه الغفلة، والفواق من هذه الموتة هو أول نفحات مولاه إليه، فإن توبته وأوبته هي ثاني تلك النفحات، حيث تستمع نفسه الأمارة بالسوء إلى النفس اللوّامة، وما أدراك ما هي قال تعالى فيها:(وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ)[114]، إنها قلبه وضميره، وواعظه وأمينه، فتارة تغلب نفسه قلبه، وتارة قلبه يغلبها.

فيزداد السالك حيرة من أمر تلك الأمارة بالسوء، فيعيد التوبة بعد التوبة، والندم بعد الندم، ويتحلى بالاتباع ، ويتخلى عن الابتداع، ويتعود الصلاة والسهر والناس نيام، فيلزمه شيخه بذكر **(لا إله إلاّ أنت)** أو ما شاء غيرها من الأذكار، مع التواضع وإنكار الذات، والصدق في الأقوال والأعمال، ويلزم جانب الحق، ويفر من الباطل فراره من الأسد، ويشتغل في قلبه حب الله ورسوله، ويشتغل بتلاوة القرآن، والصلاة على النبي العدنان، فيترك الرئاسة طوعاً، ويقبل على الذل والانكسار جمعاً، فيسلم قلبه من النفاق، ويتحكم في كثير من الأهواء، ويرق لحب الخلق، مع محبة الاعتزال، فيقبل على مولاه، كما لم يقبل عليه من قبل، فيعينه مولاه، ويغيثه بما به قوّاه، ويمده بجنود الحزن والخوف!!.

ولا بد لكل سالك من حزن يتملكه، وخوف يتسلكه، بعد ما فتح له الفتاح بابه، وهجر العبد من أجله من ظنهم أحبابه، فما من مكان يدخله إلا وهو مكسور، ومن ذكرياته محسور، فلا يجد بُدَّاً من دوام التوبة والإنابة، إلاّ أنه كلما تاب وأناب إلى رب الأرباب، طرقته مخاوف العودة إلى ما قبل الأوبة والتوبة، لكونه كلما تاب، هاب، وتجلى لقلبه وعينيه العذاب، فيدرك أنه كي لا يعود، لابد له من الحساب قبل يوم الحساب، فيحاسب نفسه على الكبيرة والصغيرة، ثم يحاسبها قبل الفعل كما

---

[114] - سورة القيامة الآية 2.

حاسبها بعده، حتى تعلم نفسه منه الجد في التوبة، والإصرار على الأوبة، ويصير من أهل اللطف والرحمة، ويطلب الإحسان من الحنان المنان، ويصمت صمت من ليس له لسان، ويقبل على العلم بالله ليزيد قرباً من الرحمن .

عندها تأتيه البشائر بالقبول فقد قالوا: (من صحت بدايته صحت نهايته)، وهنا يصبح عبداً منيباً، فالمحاسبة من أعظم الأدوية للنفوس العاتية.

وتلك المحاسبة هي ثالث نفحات المولى عز وجل على عبده السالك إليه، وهكذا يكون حال السالك إلى مالك الحي والهالك، كلما دخل من باب وحصَّل ما فيه، فتح له الفتاح باباً آخر، والمحاسبة للنفس والملام، يقتضوا اليقظة والانتباه على الدوام، ولذلك فالمحاسبة دَيْدَنُ أهل الصلاح، ومصباح أهل الفلاح.

وبدوام العبد السالك على سلوكه تتكاثر عليه الخطرات وتحاصره بجنودها الشهوات، وتذكره نفسه بما فات، فيقسو عليها بما لم تعهده منه قبل ذلك، وكلما قسا عليها وتشددَّ منَّته بالراحة، وذكرته بالإباحة، فيشعر بالهلاك المحتوم، ويملأه الإشفاق القاتم، فيلجأ إلى الرجاء ويبتهل لرب الأرض والسماء، ويبكي بكاء المغلوب، ويقهره الخوف قهراً ويملأ عينيه سهراً، ويتأرجح ما بين الخوف والرجاء.

وهنا يضع غضب نفسه لنفسه رحاله، ويذهب رأس ماله، ويتبدل بالحلم حاله، ويزول تبذيره في أمره وعمره، ويحيا حياة الرهبة والرغبة.

عندها يرزقه الله التفكر، وهو رابع نفحات الرب له، فيتفكر فيما هو فيه من نعمة، وما كان فيه من نقمة، فيرى فضل الله محيطاً به من كل جانب.

عندها يُلهم الذكر والشكر، وهما من جنود الله إليه (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)[115]، فيتقوى وينشغل بالذكر والشكر، ولكن سرعان ما يأتيه شيطانه فيخوفه بزوال النعم، وحلول النقم، ويهدده بالرياء، ويغلق أمامه أبواب كل رجاء، ولا يفعل ذلك إلا بإذن من الرحمن، فإن كان ممن سبقت لهم الحسنى، وأراد الله له المزيد، ألهمه الفرار إليه والاعتصام به، وذكَّره بقوله تعالى:(إِن عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ)[116].

وهنا يسقط ما تبقى من غروره، ويقل رغم التأييد سروره، ويزول تبعاً لهما قليل نفاقه وخشية إملاقه، ولكن هيهات هيهات الفرار من الأشرار إلى عالم الأنوار، كيف والدنيا هي قيد إبليس، الذي قيد به كل تعيس، ولا ينفع المستغيث استغاثته، فالله لا يستجيب من قلب غافلٍ لاهٍ، عندها يدركه المدد، فيتذكر قول نبيّه ﷺ :**(إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله)**[117]، فيعلم أنه لا فرار منها إلا بتركها، بحلوها ومرها، وكل حلوها مُر، إلاَّ ذكر الله وما والاه.

فينظر يمينه فيجد ناراً وينظر يساره فيجد ناراً، ولا ينظر في مكان حوله نحو الدنيا إلا ويجد ناراً، فقد كشف غطاؤه عن حقيقة الدنيا، التي كان يعشقها ويحسبها جنّة، ولهذا فالدنيا سلاح الدجال الذي يصطاد به قلوب الناس العامرة بحبها، الخالية من حب ربها، ولذا ذكَّر الأكابر، كابر عن كابر بقول النبيﷺ:**(حب الدنيا رأس كل خطيئة)**[118]، فتحبب إليه

---

[115] - سورة المدثر الآية 31.
[116] - سورة الحجر الآية 42.
[117] صحيح البخاري.
[118] شعب الإيمان للبيهقي والزهد لابن أبي الدنيا.

بعدها الآخرة، والعمل لها، وينفق إنفاق من لا يخشى الفقر، وتهون عليه الدنيا بما فيها، فإذا تركها كلها، وتخلى عن حبها، تسقيه الملائكة الأبرار من عين الأنوار، لتطهر قلبه من الأغيار، وتنسيه كل الشر والأشرار، فيصير من جملة الاستغفار، وبعدما كان يتجسس لإظهار العوار، صار يتلمس للناس الأعذار ليل نهار، بل ويحسن للأشرار كما يحسن للأبرار، وتسمى هذه العين بمعين الورع والإشفاق، فما إن يشرب منها، إلا ويكشف له المزيد من الحجب، فيرى الدنيا على حقيقتها، فإذا هي حية تسعى، وفي قلبه ترعى، فيتملكه الفزع والحسرة، إذْ أنه كالأسرى، لا حول لنفسه ولا قوة، فيفر منها فراره من الأسد، بعدما تركها وهجرها حقاً وصدقاً، ويستغيث بغياثه قائلاً: يا غياث المستغيثين، ويا رجاء السائلين، برحمتك أستغيث يا أرحم الراحمين.

وعندها يجيبه مولاه جل وعلا، فقد صار من الزاهدين المشفقين، فيتقبله كما يتقبل المتقين، ويحبب إليه الفرار، الذي لولاه ما فر ولا كر ولا يجد سوى الانقطاع مفر، فيتبتل إلى ربه تبتيلاً.

إلاّ أنه كلما انقطع انصدع تبتله بسوي مولاه، فيعود لدعاء مولاه، ويستمسك باليقين في دعاه، والله قريب من العبد، ولكن العبد هو البعيد عن الله، فلا يُجاب رغم كثرته، حتى ينادي كما نادى ذا النون: (أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ)[119]، وهو في ظلمات نفسه وأسره وعسره، مُتَحَلٍّ بحسن ظنه في ربه، مع الإقبال عليه بكله، فما يلبث أن يستجيب الحنّان المنان له، فيسمع نداء الرحمة والإجابة : (فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ)[120].

---

[119] ـ سورة الأنبياء الآية 87.

[120] سورة الأنبياء الآية 88.

ولولا أن كان من المسبحين الفارين، للبث في فراره إلى يوم يبعثون، ولم يصل إلي مراده، ولا إلى سعادة فؤاده.

فكل من لزم الفرار مع الذل والانكسار وهو مؤمن، رزقه الإجابة ربّ الفلق، ونجاه من الحزن والهم والغرق، وأما من لم يسعَ واكتفى بالطلب، فهيهات هيهات أن ينال ما يناله الرجال.

ويحبب إليه بعدها المزيد من الخلوة، وهي في لغة الشرع الاعتكاف والتبتل، وفيها تتريض نفسه بأنواع الرياضات الروحانية، وتهب عليها نسائم الأرواح القدسية، فيقل كلامه وطعامه وشرابه ومنامه، ومن ثم يحبب إليه المزيد من البكاء، وتنقطع نفسه عن العام والخاص، وتقترب من عوالم الأحبة والخواص، وتحيا بعدما ماتت وتحسب من جملة الأحياء، فترى ما لا يراه غيرها، وتسمع ما لم تكن تسمع، وتغلب أحكام القلب السليم عليها، وقتها يميل السالك إلى السماع الروحاني، والمديح الربَّاني، الذي هو لنفسه كالغذاء للجسد، فيحرك وجده، ويشد من أزره، فيسمع الألحان، وليس في خلده سوى الرحيم الرحمن،

لا كما تسمع العوام، وتعبر الألحان عما لا يستطيع التعبير عنه من الحب والوجدان.

وهذا السماع من نفحات الرب لنفس السالك، يخفف به عنها ما هي فيه من الانقطاع الأصغر، والغربة الصغرى، ومن ذلك السماع تظهر على النفس مظاهر الرغبة في الآخرة، والزهد في الغابرة، وتنادي حيث لا صوت إلاّ صوت الرؤوف الرحيم:(ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ)[121].

عندها يتقبلها ربَّها بقبول حسن، ويدخلها في رعايته وعنايته، وتلك من أعظم النفحات الإلهية، ولا تظن أن السماع فرض، أو لابد منه لكي تحظى بالرعاية، أو لكي يفتح لها باب العناية، فليس ذلك بصحيح،

[121] سورة البقرة الآية 178.

وإنما منها من تُساق إلى السماع سوقاً، ومنها من يُساق السماع إليها سوقاً، فالسماع في الحقيقة مثله كمثل المواد الغازية، في الضيافة، إن وجدت فهي مقدمة على الماء، لما تتركه من لذة في النفس، ونشاط في الجسد، حتى إنها سُميت بالمشروبات الروحية!، فهكذا الأمر بالنسبة للسماع إن وجد، ظهر على النفس ما كانت تخفيه من وجد، وظهر عليها النشاط والهمّة، وبه يُنفِّس الله عنها ما تلاقيه من كتمان للمشاعر والمواجيد العالية.

فإذا تمت لنفس السالك الرعاية، أقبل على دوام المراقبة في كل نفس يتنفسه، وكل حس يتحسسه، والمراقبة من أجل النفحات، بعد الخلوص من البدايات، فهي تشبه المحاسبة، إلا أن أمرها أعظم وحالها أقوم، ومقامها أكرم، وفيها يراقب القلب أحوال نفسه، وأفضال ربَّه، يوماً بيوم، وساعة بساعة، ولحظة بلحظة، فلا تفوته لحظة إلاّ وهي لله خالصة.

ومن بابها يدخل إلى مدينة الاستقامة، التي لا يفتح له بابها إلا بمفتاح الإخلاص، فإن كان معه فتح له، وإن لم يكمل إخلاصه، يرد إلى المراقبة، حتى يخلص فإنهم لا يقبلون هناك 99 ٪، بل لابد من 100 ٪. حتى يمر العبد إلى مدينة الاستقامة، فهي سكن الأنبياء والأولياء، ولا يدخلها غيرهم، إلاّ عابر سبيل مخلصاً، يرجو وجه مولاه ويتمناه، وما إن يدخل العبد السالك إلى مولاه، مدينة الاستقامة، بعد أن حلاه مولاه بحلة الإخلاص، وخلعها عليه بكرمه وجوده، حتى يسقي من ماء الهداية المحمدية، وهي امتدادٌ لتلك العين، التى قال تعالى فيها:(عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا)[122].

فإذا شرب منها العبد، امتلأ قلبه بالأنوار والأسرار، وانجذب إلى العزيز الغفار، وامتلأت نفسه بالرَّوْح والريحان، وما أدراك ما الروح؟

[122] - سورة الإنسان الآية 6.

إنها الهداية، وجند الحب والحماية، والمدد الآتي من الفرد الصمد، وعندها تحيا نفسه بالمولى، بعدما ماتت بالهوى، فما يلبث بعدها إلا قليلاً، حتى يؤيد بالروح، وبه تروح إلى عالم السلوك إلى ملك الملوك، فيدرك يقيناً أن كل ما فاته من معاناةٍ، ما كان إلا تمهيداً لما هو آت.

وعندها ينكشف الغطاء الثاني، فيجد نفسه أمام بحر لجيّ، لا طاقة لمخلوق بولوجه، ولا الإبحار في أمواجه، فيرتعب من رؤيته، ويرتهب من سطوته، ويعود إلى الودود، فيرده إلى سيد الوجود ﷺ، فيتذكر قوله تعالى: (لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا)[123].

فيعلم أن البداية مخبأة في الهداية، وأن الهداية مخبأة في الاتباع، فيتوكل على الله، وتلك من أعظم النفحات في القدوم على الله تبارك وتعالى، ومن شروط صحة التوكل، تفويض الأمر بالكلية إلى الله مولاه، فإذا فوض نودي من الغيب:(صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، فيوقن أن هذا وقت الجد، ومن جد وجد، وعلى قدر القصد والنيّة، تكون العزيمة والإرادة.

فالقصد وجهة، والنيّة مطيّة، وعندها يرجع إلى مواطن لا حول ولا قوة إلا بالله، فيشرب من منهلها العذب، ويتقوى منها بما يرضي الربّ، فيمده الربّ ببعض مدده وعونه وبره، فيمتلأ كيانه بشيء من القوة التي كان يرغبها، وبالعزيمة التي كان يطلبها، والتي ظن أن بها يتم مقصوده، ولكن هيهات هيهات أن يكفي ذلك لتخطي تلك العقبات.

وعندها يقف حائراً منادياً: يا دليل الحائرين، فيجيبه مولاه كعادته ويكشف له ما عُمِّي عليه، وذلك الكشف الثالث، فيجد نفسه رغم صدقها وحسن نيتها، إلاّ أنها على قدرٍ من سوء الأدب والدعوى، مما لا يليق بالدخول على الملك جل وعلا.

---

[123] - سورة الأحزاب الآية 21.

فيجد أن طلبه إساءة، وإسراعه غباوة، ودعواه دناءة، فيظن في نفسه الهلاك، فتغيب بهجته، وتضيع نشوته، وتسيطر عليه علّته ومصيبته، ولكن لكونه صادقاً متوكلاً مستسلماً، يُقذف به في ذلك البحر العظيم المهيب، وتحمله أمواجه كما يحمل الحبيب الحبيب.

ومن ثم يسري به إلى جزيرة الأخلاق المحمدية، والأوصاف الربانية، فيستقبله أهلها بالبشرى والترحيب، مرحباً بحبيب الحبيب، فيخلعون عنه ما بقي من ثوب العظمة والكبر، وعباءة العجب والفخر، ويلبسونه رداء الافتقار إلى الله، وإزار الغنى بمولاه، فتستر عورته وتصلح عوجته.

وعندها ينزلوه منازل المحسنين، في دار الإحسان، ويطعموه من طيور الصبر، ويسقوه من ماء الرضا، ويفاكهوه بفاكهة الحياء والتواضع والإيثار والرحمة، ويعطى كأس الهنا الذي ختامه مسك.

عندها يتبدل تبديلاً، ويعلم ما لم يكن يعلم، ويُلقى عليه قميص الحكمة فيرتد بصيراً، ويكشف الله عنه غطاءه الرابع، فأول ما يُبصر يُبصر عظمة الربوبية، وكبرياء الألوهية، فيسكن في فؤاده التعظيم، وهنا تتنزل عليه السكينة من العليم الحكيم، فصير مطمئناً بالله تعالى ويُصبُّ في قلبه الحب صباً، فيطير إلى مولاه بعدما كان سياراً، ومن ثم يطلب بطيرانه المزيد من ذلك الحب الذي هو مبتغاه.

عندها تجذبه جذبات العشق الرحمانية، إلى نيران الوله والدهش حتى إنه يرمي بنفسه في تلك النار، التي هي نور الأنوار، فيغيب فيها ما شاء الله له أن يغيب، حتى يصير نوراً من الأنوار.

ولابد له من الشطح والنطح، وادعاء أنه وأنه، وإفشاء الأخبار، وذلك من سطوة الأنوار، وغلبة الأسرار، وشدة القرب من العزيز الغفار، فإذا عاد :(قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ)[124]، والتزم الاحترام والكتمان، وكف أذاه.

---

[124] سورة الأعراف الآية 143

وإذا غاب عاد لدعواه:(إِنَّنِي أَنَا) فهو ما بين الصحو والسكر متردد، وما بين القرب والبعد مهدد، فتارة يفنى فيُعربد، وتارة يبقى فيتودد، فهو بين القبض والبسط دائر، وبين الجمال والجلال حائر، هو الحزين السعيد، الحي الميت، الغائب الحاضر، المعدوم الموجود، وهو في كل ذلك لا هم له إلا لقاء مولاه، والفوز برضاه، فإذا أتعبته الحيلة علم أن (الحيلة ترك الحيلة)؛ فيستسلم تسليماً.

فقد علم وفهم وقيل له: كيف ترجو الدخول على الملك القدوس وأنت صاحب جسد ونفس منفوس؟!

كيف ترجو اللقاء وأنت تناطح بوجودك الموهوم وجود الحي القيوم؟!

عندها ينتبه الانتباه الثاني، وهو المقام المَرْيَميّ، والولادة العيسوية، والطهارة القدسية، فيكشف له الغطاء الخامس، فَيخر ساجداً قائلاً: (يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا)[125]، فيموت الموت الأخير، وهو موت الفناء، الذي لا موت بعده، إلاّ موت الجسد، فيتفضل الجواد عليه ويحييه الحياة الطيبة، وهي حياة البقاء به، ويخلع عليه حلل الأتقياء، وينزله منازل الكمال، ويتوجه بتاج الجمال والجلال، ويعلمه من لدنه علماً، **ويوهب النفس المطمئنة والتي دينها ودَيْدَنها (لا اله إلاّ هو)**. فقد تخلق بكل صلاح قولاً وعملاً ظاهراً وباطناً وتحقق بنور الأرواح.

ولكل سالك في الغالب ثلاث لقاءات، أولهم لقاؤه بالولي المرشد والمربي الروحاني، الذي يأخذ بيديه طوال هذه الرحلة، حتى يصل السالك إلى اللقاء الثاني، والذي هو أعظم من اللقاء الأول، بل لا وجه للمقارنة، حيث يلقى السالك نبيّه وحبيبه ﷺ ، في المنام واليقظة، ويسمع منه، ويعقل عنه، ويحصد فيه من أدعية الحبيب له ما لا

[125] - سورة مريم الآية 23.

يوصف جماله وبركته، وهو ما يسمى بأوراد الأولياء فما أخذوها إلاّ عن سيد الأنبياءﷺ، ومن حجر فضل الله على الصحابة وحدهم لم يصب الحق، ولا بلغ الحقيقة، وقد يأخذ الولي هذه الأدعية بعد انتهاء سلوكه، وليست تلك الأدعية زيادة في الدين، فقد كمل وختم إلى يوم الدين، وإنما هي أدعية مباركة، أُلهمت ببركة الاتباع والمدد، وهذا في الشرع ورد.

وقد كانت أمي رحمها الله تدعو وتقول:(اللهم اشغلنا بالذكر لا بالفكر)، وقد أخبرتني أنها أُلهمت هذا الدعاء، والله يُلهم من يشاء.

وهذا مقام الحفظ وزوال ما تبقى في قلبه من حظ الشيطان، ولعل قائلاً يقول: وكيف الأمان من مكر الرحمن؟

فأقول له: إن الله لا يمكر بمن يحب، وإنما يمكر بمن يمكرون، فافهم قولي فإنه من العلم المكنون. قال تعالى:(إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ)[126].

وأنَّي للشيطان بقلب فيه محبة الرحمن، تحيطه العناية، وتملؤه الأنوار؟!.

وبعد هذا الاجتماع يصير (أخاً لشيخه)[127].

بعد ما بلغ ما بلغ، مع بقاء الحرمة والرتبة، والاعتراف بالجميل، فما وصل لما وصل إلا بفضله، ومن ثم يستعد للقائه الثالث الكبير، الذي هو الغاية من وراء كل لقاء.

فيظل في هذا الفضل مدة مدندناً في تحقيقه، لا يفتر أبداً عن ذكر مولاه، بل لو أراد أن يفتر لم يستطع، **ومن ثم يصل إلى منتهى كل ذكر**

---

[126] سورة الحجر الآية 42.

[127] كما ورد عن النبي وأخوته لعلي وفي الصحيحين قوله ﷺ :(ولكن أخوة الإسلام).

وغاية كل ذاكر ، فيوهب له اسم مولاه الأعظم ((الله))، وكل أسماء المولى عظيمة، وعندها يقال له: (وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلاً)[128].

فيركب في سفينة النجا إذْ أنه قد نجا، ومن ثم يبحر في بحر التوحيد الأعظم، وتُسخر له رياح اللطف والرحمة، حتى تحمله إلى بر الأمان، ويصل إلى عرش الرحمن، فيهيم مع الهائمين، ويطوف مع الطائفين، ويظل هكذا هائماً ذاكراً عاشقاً والهاً، حتى يصير كل شيء فيه يذكر(الله الله)، فلا كون يشغله بعدما ظهر له أن كل شيء في حقيقته حجاب، وكل حُجب الأحبة عذاب، إلاّ من كوشف بحقيقة كل حجاب، وهنا يمتحن الامتحان الكبير، فيكشف غطاؤه ويرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهنا (التصريف). إلاّ أنه لا يلتفت لغير مولاه فيرث موطئ قدم نبيّه ﷺ:(مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ)[129].

عند ذلك فقط يُسمح له بلقاء ربّ الأرض والسماء، صاحب العظمة والكبرياء، فيلقاه ضاحكاً له، راضياً عنه، وينادى عليه في عالمي الملك والملكوت:(إن الله يحب فلاناً فأحبوه ثم يوضع له القبول في الأرض)، وينادى: (هذا حبيب الله، ووليه، هذا الذي: سلك فملك، وصدق فسبق).

انتهت الرحلة الكبرى وقد اختصرت في هذه العجالة، حيث لا فائدة من الإطالة، فليس كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال جاء وقته، ولا كل ما جاء وقته حضر أهله.

---

[128] سورة المزمل الآية 8

[129] سورة النجم الآيات 11و12و13و14و15و16و17.

ولا تظن أن التطابق لازم لكل من سلك على الوصف الذي سبق، فهذا غير صحيح، فمن العباد من يقطع رحلته في أيام ،وبعضهم في شهور، وبعضهم في سنين، وبعضهم يموت ولم يقطعها، ومنه من تختصر لها المقامات، ومنه من يقطعها كاملة، إلاّ أن البداية واحدة وهي الانتباه من الغفلة مقرونة بالتوبة، وكذا النهاية (الغاية) واحدة، وهي الله عز وجل (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى) .
فهي قسمة أزلية وعطية وهبية، فمن سعى كالأحباب وهب من فضل الوهاب .

تم بحمد الله وتوفيقه

الفهرس

الإهداء 3

المقدمة 5

الأُطروحة الأولى : (موتة المؤمن وموتتا الكافر)..... 7

الأُطروحة الثانية :(قبر المؤمن وقبر الكافر)..... 15

الأُطروحة الثالثة : (التوسل)..... 21

الأُطروحة الرابعة :(الاستغاثة)..... 28

الأُطروحة الخامسة :(المدد)..... 32

الأُطروحة السادسة:(الاهتزاز فى الذكر وَجْداً)..... 37

الأُطروحة السابعة :(المهدي والقحطاني)..... 39

الأُطروحة الثامنة : (أُمرت أن أُقاتل الناس)..... 47

الأُطروحة التاسعة :(الجهاد الاكبر)..... 55

الأُطروحة العاشرة:(رحلة النفوس إلى الملك القدوس)..... 62
الفهرس..... 81

مؤلفات حبيب الكل

(1) الذين رأوا رسول الله في المنام وكلموه - (طبعتان).

(2) الذين رأوا الله عز وجل في المنام وكلموه - (ثلاث طبعات).

(3) الجهر بالبسملة في ميزان الكتاب والسنّة .

(4) لسان العرفان وبيان الترجمان .

(5) الأمّة الإسلامية هي الفرقة الناجية.

(6) الانتصار لرؤية النبي يقظة بالأبصار.

(7) الخلافة قادمة ولكن لا خليفة غير المهدي ولا خلافة قبل ظهوره.

(8) داعش .. خوارج علي نهج التتار وسنّة العجم -(طبعتان).

(9) ورد الورود علي الحبيب والودود - (ثلاث طبعات).

(10) صحة صلاة المليار في رحاب قبور الأبرار.

(11) سدرة المنتهى معراج السالكين إلي رب العالمين (رسالة في السلوك إلى الله).

(12) الإيمان والإلحاد.

(13) أيها السالك إلى الله عز وجل.

(14) بهجة القلوب.

(15) العظمة المحمدية -(الجزء الأول).

(16) العظمة المحمدية -(الجزء الثاني).

(17) رؤيا الله عز وجل في المنام.

(18) أطروحات وفتوحات -(الجزء الأول).

(19) عظمة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

(20) عظمة الإمام علي رضي الله عنه.

(21) الجامع البهي لحكم الإمام علي -(أكثر من 8000 حكمة) -(جزءان).

(22) المبشرات الإلهية.

(23) الإنباء عن عصمة الأنبياء .

(24) أيها المريد الصادق.

(25) الاعتقاد في مدارج الإسلام الثلاث.

(26) حقيقة المجاذيب.

(27) ديوان المبشرات القدسية.

(28) أطروحات وفتوحات - (ج 2).

(29) أطروحات وفتوحات - (ج 3).

(30) الأربعين في تحذير السالكين (ومعه الأربعين في أجوبة السائلين)

(31) دليل السائرين إلى ربِّ العالمين.

(32) يا بنيّ

(33) السفر المعين على خدمة الصالحين.

(34) حصن المؤمن.

(35) شرح قواعد العشق الأربعون.

(36) بيان الالتباس فى حديث (امرت أن أقاتل الناس)

(37) قوانين السلوك.

كتب المؤلف حائزة على موافقة مجمع البحوث الإسلامية (الأزهر الشريف)

((((مؤلفات تحت الطبع))))

(1) كتاب أسئلة الملحدين وأجوبتها .

(2) كتاب حقيقة الشكر .

للتواصل مع صحبة الحب الإلهي ومؤسسة حبيب الكل الخيرية ومواقع التواصل الإجتماعى

((للتواصل مع صحبة الحب الإلهى أحباب حبيب الكل يسعدنا اتصالكم على هذه الأرقام)) :

الشيخ : أيمن عمران :01000147132 - الشيخ السيد شحات: 01151994222

الشيخ حسين العبّادي: 01277719145 - الشيخ مصطفى عفيفي: 01009586082

الشيخ محمد حلفاوي: 01203765377

((للتواصل مع مؤسسة حبيب الكل يسعدنا اتصالكم علي هذه الأرقام))

رئيس مجلس الإدارة اللواء :عادل سليم 01006045481

الأستاذ أحمد عادل علام 01020915550

الاستاذ سيد الحنفي 01011673787

الأستاذة دعاء عبد التواب أحمد 01011124803

((للتواصل مع موقع صحبة الحب الإلهى أحباب حبيب الكل يسعدنا اتصالكم على هذه الأرقام))

الأستاذة دعاء عبد التواب أحمد 01011124803

الموقع الرسمي لصحبة الحُب الإلهي أحباب حبيب الكل

((http://www.sohbtelhobelelahy.com/))